هيلعلا وه

ةيوبنلا ةوعدلا رارسأو ميركلا نآرقلا زاجعإ

يوملأا فارحنلاا روذجو ﴿رذنَأَف مقُ﴾ يهلإلا باطخلل ةينافرعلا تلادلا

ةسداسلا ةسلجلا ـ ةيوبنلا ةريسلا نم تاّطحم ـ مبانيإلاسلام

اهاقلأ ةرضاحم
يّنيسحلا يّناهرطلا دّمحم دّمحم نسحلا ّجاحلا الله ةيآ
هرسد الله سدق

@MadrastAlwahy

أعوذ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ
بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ
الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ
وأفضلُ الصلاةِ والسلامِ على سيّدنا ونبيّنا وحبيبِ قلوبنا وطبيبِ نفوسنا
وعلى آلِهِ الطيّبينَ الطاهرينَ
أبي القاسمِ محمّدٍ
وعلى أعدائهم أجمعينَ من الآنَ إلى قيامِ يومِ الدينِ
واللعنةُ

الإعجاز القرآني الكريم

﴿سْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[1].

قولُه عليه وآله الصلاةُ والسلامُ مخاطبًا اللهُ تعالى النبيَّ الأكرمَ صلّى اللهُ عليه وآله:

﴿وَلَا تَطُعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: لا تطع كلَّ حلّافٍ مهينٍ، ولا تطع همّازًا مشّاءً بنميمٍ، ولا تطع مناعًا للخيرِ معتدٍ أثيمٍ، ولا تطع عتلٍّ بعدَ ذلكَ زنيمٍ.

إنّ من خصائص القرآن الكريم ـ كتاب الإسلام السماويّ ـ أنّه كتابٌ مُحكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو بمنأىً عن كافّة الشوائب. والقرآن الكريم كتابٌ جعله اللهُ حُجّةً وبرهانًا ومعجزةً لجميع الأفراد؛ بمعنى أنّ معجزة النبي صلّى الله عليه وآله بلغت حدًّا بحيث لو رجع أيُّ إنسان ـ مهما كانت مرتبته ومكانته ـ إلى هذا الكتاب، لوجده كافيًا للهداية والحجّية والدلالة. بيدَ أنّ سُنّة الأنبياء السلف ورسالة الله تعالى قد جرت على إرسال الدليل والحجّة المرشدة بحسب اختلاف الناس، وتفاوت آرائهم وأفكارهم وعلومهم. وقد ورد في الروايات عن الأئمّة عليهم السلام أنّهم قالوا [ما معناه]: «لو لم يكن مع النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أيُّ دليلٍ أو معجزة (بما في ذلك انشقاق القمر، أو كلام الشجر معه، أو شهادة الحصى والحيوانات بالشهادتين، أو بقيّة المعجزات التي شوهدت منه)، لكان القرآن وحده كافيًا»[2].

---

[1]. ١-٧ سورة المدّثر، الآيات.

[2]. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ٥١ سورة القصص، الآية؛ تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٥٢؛ راجع: **معجم البيان**.

مضارّ الوصول إلى الحقائق والأمور المعنويّة عن طريق الحواسّ والمعجزات الظاهريّة

يُثير هذا الأمر إلى قضيّةٍ دقيقةٍ عميقةٍ ينبغي لنا تجسيدها في وجودنا، وهي: هل يجب التوسّل والتمسّك بالأمور الحسّيّة للطلب الحجّيّة والدلالة على الحقّ؟ وهل يُمكن أن يهتدي الإنسان إلى الحقيقة والباطن عن طريق الحسّ؟ أم أنّ الباطن والواقع ظاهرٌ جليٌّ في حدّ ذاته؟

إنّ ارتداد كافّة أمّة النبيّ صلّى الله عليه وآله بعد وفاته[1] وعودتهم إلى عبادة العجل كما في تعبير السيّدة الزهراء عليها السلام[2] كان بسبب أنّهم اهتدوا إلى حقيقة النبيّ صلّى الله عليه وآله وروحه عن طريق الحسّ، بينما الحقيقة والواقع مشهودان ظاهران مع نفس النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله. وأمّا إذا أراد الإنسان الوصول إلى الواقع عبر رؤية المعجزات وسماعها من خلال الحواسّ، فإنّ مرتبته ومقامه سيبقيان محصورين في هذا النطاق؛ وربّما بعد تجاوز هذه المرحلة، وأنّه لم يعبر مرحلة الحواسّ فعليًّا بل تعجّبت نفسه بها، فإنّه قد يعود إلى حالته الأولى ومرتبته السابقة بمجرّد رؤية بعض الحوادث أو طروّ بعض الوقائع!

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾؛ أي: ليس محمّدٌ إلّا رسولًا من قبل الله تعالى؛ أفيكون حالكم أنّكم إن ماتَ أو قُتِل، ارتددتم على أعقابكم، ورجعتم إلى تلك الحالات والأوضاع الجاهليّة الأولى؟!

لهذا، ومن منطلق أنّ هؤلاء الأفراد لا يستطيعون الوصول إلى ذلك الواقع بواسطة نور الباطن والبصيرة، فقد جعل الله تعالى الأمور الحسّيّة المشاهَدة معجزةً ودليلًا لإرشادهم؛ وإلّا، فإنّ الكتاب المبين والقرآن المجيد كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله وحده كافٍ للهداية والدلالة!

فلو تدبّرنا في القرآن نفسه، لظهر إعجاز هذا الكلام الإلهيّ من واقع التدبّر فيه؛ حينئذٍ، ستختلف سعة إدراكنا للواقع اختلافًا كبيرًا عن أولئك الذين يريدون الوصول إلى الحقيقة من منظور الحواسّ. إنّ الزلل والانحراف في حقّ الأفراد الذين يُشاهدون الدليل بواسطة نفس هذا الدليل، والحجّة عن طريق ذات هذه الحجّة، لا يقع إلّا نادرًا جدًّا؛ بخلاف أولئك الذين يبتغون الوصول إلى مسألةٍ ما عن طريق الظاهر والحواسّ!

---

1. الاختصاص، ص ٦.
2. راجع: الاحتجاج، ج ١، ص ٨٤؛ كتاب سليم بن قيس، ص ٥٩٣؛ بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٥٤ و٢٢٠ و٣٥٦.

معنى «الأُمّيّ» في كلام أهل السنّة

بناءً على ذلك، ولئلاّ تبقى ـ ولو في الجملة ـ أيّة شبهة في قلوب مَن يُتطرّق إليهم الريب والشكّ، فقد أظهر الله تعالى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، وبرّزه بين الناس منذ البداية على نحو يزول معه أيّ شكّ أو شبهة في أنّ: «هذا القرآن من نتاج النبيّ الأكرم نفسه».

ولهذا، لم يكن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله يحسب ولا يكتب؛ ومن الناذر جدّاً أن ترد في بعض الروايات أنّه كان يقرأ، ولكنّ الكثير من الروايات تنصّ على أنّه لم يكن يقرأ. وعلى أيّة حال، فمن المقطوع به أنّه لم يكن يكتب شيئاً.[1] وقد اصطلح أن يتكنّى العلماء عن هذا المعنى بأنّه كان أُمّيّاً، أو أنّه لم يكن يقرأ ولا يكتب، بل مُسلّم أنّ بعض القراءة دون الكتابة، بل إنّ بعض العلماء لم يكونوا يُصادف أن يتمكّن البعض من القراءة دون الكتابة، كما أنّ هناك الكثير من المعلّمين الذين يُتقنون الكتابة؛ فتجد أحدهم عالماً مفكّراً، لكنّه لا يحسن الكتابة، حتى جاءه مَن يُعلّمه إيّاها في أواخر عمره. فهذا أمرٌ مشاهَد، ولا معارضة بين هاتين المسألتين.

إنّ الله تعالى، ومن أجل دحض هذه الشكوك والشبهات، وضع النبيّ صلّى الله عليه وآله في موقعٍ لا يكتب فيه.[2] ومن هذا، فإنّ إطلاق بعضهم صفة «الأُمّيّ» على النبيّ صلّى الله عليه وآله في الرسالة السابقة لا يأتي من هذا الباب؛ أي إنّ النبيّ لم يكن يكتب أو يقرأ على نفس الحالة التي وُلد عليها من أمّه، وبقي على عامّيّته بوساطته الأولى؛ ولذلك، أطلقوا عليه لفظ «الأُمّيّ» حيث نُشاهد هذه المسألة بكثرة في كُتُب أهل السنّة.[3]

تغيير بعض نصّ الشرائع السابقة في شريعة رسول الله صلّى الله عليه وآله

توجد في القرآن الكريم آية تتعلّق بوقوع النبيّ موسى عليه السلام، حيث يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4]؛ أي: أولئك الذين يتبعون من قوم موسى النبيّ الأُمّيّ، ذلك الذي يأمرهم بالمعروف ...

---

1. الإرشاد، ج ١، ص ١٢٤ ـ ١٢٦.
2. راجع المراضعة الخاصة.
3. فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٣٨٧؛ المغني، ابن قدامة، ج ١٠، ص ٣٠٢؛ السيرة النبوية، ابن كثير، ج ٣، ص ٤٢٧؛ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٥٩.
4. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

يبيّن الباري عزّ وجلّ هذا خصائص النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾؛ أي: يُحلّ لهم الأشياء التي كانت مُحرّمة عليهم من قبل.

وكما ذُكر آنفاً، فإنّ بعض الأحكام والتكاليف في شريعة النبيّ موسى عليه السلام كانت بنحوٍ تغيّر في الشرائع اللاحقة.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾؛ أي: يرفع عنهم الثقل والمشقّة في التكاليف.

﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي إنّ النبيّ يزيل جميع ما كان يُكبّلهم ويُقيّدهم.

ولا يخفى أنّه قبل بعثة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، طرأ تغييرٌ أيضاً على بعض أحكام شريعة النبيّ موسى عليه السلام في شريعة النبيّ عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، حيث يقول الله تعالى على لسان النبيّ عيسى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1]؛ أي: إنّني أُصدّق النبيّ الذي سبقني، وهو النبيّ موسى.

وذلك لأنّ النبيّ عيسى عليه السلام لم يأتِ بشريعة مستقلّة تماماً من عند الله، بل كانت شريعته هي التوراة ذاتها مع قليل من الاختلاف؛ ولهذا، فإنّه يقول هنا: إنّ وظيفتي هي التصديق بشريعة النبيّ موسى عليه السلام، وليس الابتداع والإتيان بشريعةٍ جديدة؛ فالشريعة هي شريعة موسى ذاتها، ولكن، أُدخلت عليها بعض التغييرات: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: لأُحلّل لكم بعض ما كان مُحرّماً عليكم في السابق.

وكذلك في شريعة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، تغيّر الكثير من تلك الأحكام التي كانت سارية في شريعة موسى، بل وحتّى في شريعة عيسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام.

التبشير بظهور النبيّ الأكرم في الوحي لموسى عليه السلام

في قول الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: إنّ الذين يؤمنون بالنبيّ، ويُعزّرونه، ويُوقّرونه، ويكونون له سنداً

[1]. سورة آل عمران، الآية ٥٠.

يفسّر الرواة، كما ذُكر في هذا القرآن الكريم، (والمراد به هذا القرآن الكريم) ويتّبعون ذلك بنصوص ظاهرة أو أولئك هم المفلحون.

وقد جاءت هذه الآية الكريمة عقب آية ذكر فيها البارئ عزّ وجلّ طلبات وعدوات موسى عليه السلام، حيث يُخاطب ربّه قائلاً: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]

يطلب موسى عليه السلام من ربّه: «اجعل لنا في هذه الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة». فيُجيبه الله تعالى: «سأُنزل عذابي على مَن أشاء وتقتضيه مشيئتي؛ ورحمتي وسعت كلّ شيء، غير أنّني سأكتب هذه الرحمة وأُقدّرها للمتّقين، وللذين يؤتون الزكاة ويبذلون أموالهم، وللذين هم بآياتنا يُؤمنون ويوقنون».

بالطبع، فإنّ كلّ من يخرج عن دائرة الطاعة والعبودية سيكون مستوجباً للعذاب؛ بالتالي، تستعلّق مشيئة البارئ تعالى بعذابه؛ ولكن، فيما يخصّ الرحمة، فالأمر لديه: أي إنّ رحمتي ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3]، فإنّه «بضغط على الرحمة التي سبقت الغضب»!

بالتأكيد أنّ الله المتعال، بما أنّه قد قرّر العذاب والثواب بمقتضى الحساب، قد شملت الجميع! ولكن، فيما يخصّ الرحمة، فقد قيّد هذه الرحمة بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وبقوله: ﴿...مِنْ أُمَّةٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] يُشير هذا المقطع إلى أنّ الله تعالى قد حفظ في كتابه التوراة ـ الذي يضمّ وعدوات الله على آله. ولهذا، نرى أنّ الله تعالى قد حفظ في كتابه التوراة ـ الذي يضمّ وعدوات الله على آله، وذكره، وخلّده، وإجابات الله والوحي الإلهيّ ـ اسم النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، وصفاته المباشرة بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾

إغواء إبليس لموسى عليه السلام ومحاولة مناجاته

يروي حفص بن غياث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال [ما مضمونه]: كان موسى عليه السلام يُناجي ربّه يومًا، فأقبل إليه إبليس يُريد إغواءه. فقال له مَلَك من الملائكة:

---

1. ص ٣١، ج ٢، **بشارة المصطفى**؛ ص ٢٤٢، ج ١، **مقالات الإسلاميين**؛ ص ١٩٤، ج ١، **الكافي**
2. الآية ١٥٦، سورة الأعراف
3. ص ٤١١، **الخرائج والجرائح**
4. الآية ١٥٧، سورة الأعراف

«ماذا تريد من هذا العبد الصالح وهو في مناجاة ربّه؟!»، فأجاب إبليس: «أريد أن أصنع به ما صنعتُ بأبيه آدم حين أخرجتُه من الجنة!».

قال الله تعالى في مناجاته لموسى عليه السلام: «إنّما أقبل الصلاة ممن عظّمني في قلبه، وامتلأ قلبه من خشيتي، ووقّر أوليائي وأعزّهم واحترمهم!».

مهيلع بوقعيو قاحسإو ميهاربإ :ءايلوألابدارملا لهإ!بر اي :مالسلا هيلع ىسوملاقف مالسلا؟»

فيأتيه النداء الإلهيّ: «هؤلاء أوليائي، ولكنّ المراد بالوليّ هنا هو مَن خلقتُ الجنّة والنار لأجله، وهو محمّدٌ الأحمد الذي اشتققتُ اسمه من اسمي المحمود! فمَن عرفهم (أي محمّد وأهل بيته) وعرف حقّهم، جعلتُ له عند الجهل علمًا، وعند الظلمة نورًا، أُجيبنّه قبل أن يدعوني، وأُعطينّه قبل أن يسألني!»[1]

ةيادهلا راسم يف نانسلإا تاءاقلإ ةيفيك

نكلو ؛هب هل نأشلا نانسلإا نإف [ةلفغ يف :يأ] هسفنب لوغشم لك نأ املاط ؛تاذلابةظحلالا كلتي فنانسلإا ماتأ ،ىلاعتلله ةوطخو ةوطخ نيأ نانسلإا دارأ املكنّهأ ب يجعلا !بجعلا ةياغ يف رمأ اذهو

:لوقتمير كلا نآرقلا يف ةيآ ةمث

﴿ ۡمِهِتَيۡنمُأ َيف ُنَٰطيَّشلٱ ىَقۡلَأ َيَّنَمَتَ اَذِإ َّلاِإ ٍّيِبَن لَاَو ٖلوُسَّر نِم كَلۡبَق نِم انلۡسرَأ اَمَو﴾[2].

وخلاصة القول هي أنّ الله تعالى قد جعل طريق الهداية مقترنًا بالتضحية [التجاوز عن حظوظ النفس] والاختيار؛ فعلى الإنسان أن يُضحّي، وأن يطوي هذا الطريق بمحض اختياره. وكما أسلفنا، عندما يُريد الإنسان أن يأتي بعملٍ خارج مسار الهداية، فإنّ الشيطان لا يتدخّل فيه، بل يقول: «إنّه يمضي في طريقه بنفسه، ولا حاجة لمضايقته والتعرّض له؛ فهو يُسايرني من تلقاء نفسه، ولا يلزمني أن أتبعه كثيرًا!». ولكن بمجرّد أن يهمّ الإنسان بخطو خطوةٍ واحدة والمضيّ في طريق الحقّ، يعترض الشيطان طريقه فورًا؛ وأوّل من ينبري لمخالفته هو ولده، وزوجته، وصديقه، وقريبه! أين كان هؤلاء حتى الآن؟!

ضارتعا لاو ةلكشملاف ،نيتماصاو ماد املسرلاو ءايبنلأا نأ ىلإ ةميركلا ةيلآا ريشُت يفًلائاحف قيفنانسلإا يتأي ،سانلا نيب امرمأ وأ ٍةياغ ذيفنتن ودير امدنع ،نكلو ؛مهيلع مهقيرط!

وكيف يعترضهم؟ يتغلغل في نفوس الناس، ليوسوس قائلاً: «إنّ هذا العمل الذي تروم القيام به، وهذه الطاعة التي تريد امتثالها، ستجلب لك المتاعب وتُبعدك عن الناس! ستُعرّض

---

[1]. ٢٤٣ص ،١ ج ،يّمقلا ريسفت :عجار

[2]. ٥٢ ةيلآا ،جحلا ةروس

مكانتك الاجتماعيّة للخطر؛ والمكانة الاجتماعيّة أهمّ وأسمى! إنّك بعملك هذا ستصبح منبوذًا (يُشار إليك بالبنان) بين الناس!».

امدنع!؟هلجأ كمن قلبق رتحيتّحيّعلهعلى الدين والولا يزعم، يا عزيزي، هل أنت لا تُقيم الدين الإسلاميّ وأخلاقه ومفاهيمه؟! أنت لا تُريد أن يُشار إليك بالبنان، فما أنشأك إلا لتحفظ ذاتك وأملاكك، وأنت تقول لي: «اذكر لي فتوى واحدة تُجيز للمرء الاضطرار إلى ارتكاب محرّم أو مخالفة رسميّة، فهل تكتفي بهذا القدر؟! ولو أنّ الإمام عليه السلام أو وليّ الأمر عليه الصلاة والسلام أمرك بالسكوت والتغاضي عن انتهاكات الأمويّين لحقوق الإسلام والمسلمين، أكنت تفعل ذلك؟!».

إنّ الإنسان قد يُدعى للقيام بأعمال ومهامّ لا يرى فيها بأسًا، ولكنّ الإمام عليه السلام يأمره بتركها؛ لأنّ فيها مفسدة أو ترجيحًا لمفسدة على مصلحة، وهذا ما يجب على المكلّف الالتفات إليه.

وسوسة النفس الأمّارة بالسوء:

«عندما ييأس الشيطان من جميع السبل والأمور التي يُمكنه من خلالها النفوذ والتغلغل إلى الإنسان، فإنّه يتسلّل إليه عن طريق أقرب الناس إليه!».

امدنع: لا يستطيع الشيطان التغلغل في الإنسان بواسطة الكناة، أو بواسطة المال، أو بواسطة الأبناء، أو بواسطة الشهرة، أو بواسطة العلم، أو بواسطة الابتهال والصلاة، فإنّه يتّخذ أقرب الطرق لإسقاط الإنسان، ألا وهي النفس الأمّارة بالسوء! قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ أي أنّ الشيطان يتآمر مع النفس الأمّارة بالسوء!

لا تكن كالأعرابيّ الذي جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يسأله أن يدرّجه في الإسلام، فقال له: «اذكر لي فتوى واحدة تُجيز للمرء أن يتأخّر عن الصلاة، أو الصوم، أو الزكاة، أو الحجّ، أو العمرة؛ لأنّي لا أستطيع أن أترك الدنيا بأكملها!».

المعنى الصحيح لكون رسول الله أمّيًا

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.[1]

كان وضع النبيّ هكذا؛ ولهذا، عُرف بالأمّيّ؛ ولكن، ما تُبيّنه روايات أهل البيت عليهم السلام هو أنّ المقصود بالأمّيّ هو أمّ القرى مكّة، حيث لدينا روايات كثيرة صُرّح فيها بأنّ النبيّ كان يُدعى بالأمّيّ لأنّه كان منسوبًا إلى مكّة وأمّ القرى.[2]

اعتكاف النبيّ الأكرم في غار حراء قبل البعثة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.[3]

يمضي من عمره الشريف حوالي أربعين عامًا؛ كما أسلفنا الذكر،[4] يقول أمير المؤمنين عليه السلام [ما معناه]: كان النبيّ الأكرم يذهب إلى غار حراء طوال أيّام السنة، ويعتكف هناك.

فكان يتواجد في غار حراء طوال شهر رمضان المبارك، وفي أيّام السنة أيضًا؛ إذا كان يتواجد في غار حراء، بحيث كلّما لم يكن النبيّ الأكرم في مكّة، وحدث يقضي الكثير من الأوقات في غار حراء، بحيث كلّما لم يكن النبيّ الأكرم في مكّة، وحدثت مسألة ما، كانت السيّدة خديجة ترسل خلفه صلّى الله عليه وآله وسلّم في غار حراء، وتُبيّن له المسألة؛ وحينها، كان يأتي من غار حراء إلى مكّة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«لقد كان يُجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري»**؛ أي أنّ النبيّ كان يقضي مدة في غار حراء في كلّ سنة، في حالة كنت أنا فقط من يراه ولا يراه أحد غيري (أي لم يكن يراه غيره في مرحلة ما قبل الرسالة وما قبل البعثة).

«رأى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوّة»[5] أي: كنت أشاهد نور الوحي والرسالة في ذلك الزمان (زمان ما قبل الرسالة) وكنت أشمّ رائحة النبوّة منه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

---

1. سورة العنكبوت، الآية ٤٨.
2. **علل الشرائع**، ج ١، ص ١٢٥.
3. سورة المدّثر، الآيات ١ ـ ٧.
4. راجع **المحاضرة الخامسة**.
5. **نهج البلاغة** (عبده)، ج ٢، ص ١٥٧.

بشارات جبرائيل للنبيّ الأكرم بالرسالة قبل البعثة

وقد أعطى بعض الروايات، قبل أن يُبعث النبيّ الأكرم رسميًّا بالبعثة والرسالة، كان يأتيه جبرائيل في عالم الرؤيا وغير الرؤيا، ويُبشّره بالرسالة، وكان صلّى الله عليه وآله وسلم يُصلّي قبل الرسالة والبعثة؛[1] قبل أن يُبعث بالرسالة ويأتي بالأحكام والشرائع، كان أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة خديجة يقتديان به ويُصلّيان معه؛ ولدينا في رواية:

قبل زمان البعثة وقبل أن يصل إلى مقام الرسالة بعدُ، جاء أبو طالب يومًا إلى منزل السيّدة خديجة، ورأى أنّ النبي الأكرم مشغول بالصلاة، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام يُصلّي بجانبه؛ فالتفت إلى النبيّ الأكرم وقال: «ما هذا؟»، فقال: «هذا أمر الله لي».

وورد في إحدى الروايات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يُصلّي في سنّ السابعة من عمره والنبيّ في الثلاثين من عمره؛ أي في الوقت الذي كان فيه أمير المؤمنين في السابعة والثلاثين من عمره، وكانت قد بقيت ثلاث سنوات على زمان البعثة![2]

أوّل خطاب إلهيّ بالرسالة للنبيّ الأكرم

[ما معناه] هو ذا، يقول المرحوم المجلسي رواية لا يخلو ذكرها من لُطف، حيث يقول:

سأل أبو سلمة: «ما هي أوّل سورة نزلت في القرآن؟» فقال أبو سلمة: «سألت جابر بن عبد الله الأنصاري أيّ القرآن نزل أوّل مرّة؟» فقال: «﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[3]». قلت: «بل سمعت أنا أنّ أوّل سورة نزلت هي سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[4]».

فقال أبو سلمة: «فأنا ذاهب إلى جابر بن عبد الله الأنصاري وأسأله عن هذه المسألة»؛ فقال جابر:

[ما مضمونه] إنّ النبيّ الأكرم قال لي عن هذه المسألة:

في الوقت الذي كنت أذهب فيه إلى غار حراء، وعندما أنهيت كامل مدّة إقامتي في غار حراء، نزل جبرائيل وسمعت صوتًا من الأعلى، لكن، مهما بحثت، لم أجد قائله. سمعت صوتًا مرّة أخرى؛ وعندما نظرت إلى الأعلى، رأيت جبرائيل فوق العرش، وانتابتني حالة فقال: «إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»؛ يا رسول الله، أنت نبيّ الله! (وفي ذلك الزمان، وجّه جبرائيل خطاب الرسالة للنبيّ الأكرم!).

انتابتني حالة سقطت إثرها على الأرض من شدّة الاضطراب، ونشأ في داخلي قلق واضطراب؛ نهضت وقلت: دثّروني، دثّروني؛ (أي غطّوني، غطّوني!).

---

1. ص ٣١٧، الدر المنثور، ج ١٨، ص ١٨٤؛ نقلًا عن الأنوار البهية، ملا مهدي النراقي، ص ٣١٧.
2. ص ٢٢٩، ج ١٣، ديوان أبي طالب، ابن أبي الحديد؛ ج ١، ص ٤٦؛ شرح نهج البلاغة، ملا مهدي النراقي؛ راجع: آداب الصلاة، الإمام الخميني، ص ٣٠ ـ ٣١.
3. سورة المدّثر، الآية ١.
4. سورة العلق، الآيات ١ ـ ٣.

في هذه اللحظة، صبّ جبرائيل عليّ ماء، وغسلني. جئت إلى المنزل، وأصابني الالتهاب وألم، وقلت لخديجة: خطّيني! خطّيني! خديجة؛ وحينئذ، نزلت سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

كيفية تأثير الواردات الملكوتيّة والتجلّيات الذاتيّة للنبيّ الأكرم على جسده

ويقول [العلاّمة المجلسي] بعد ذكر هذه الرواية: من الممكن أن تكون هذه الرواية ضعيفة؛ لأنّه من المستبعد أن يُصاب شخص ـ يبعثه الله لمقام الرسالة والبعثة ـ بالاضطراب والوحشة بسبب الوحي والأمر الإلهيّ! فالوحشة والاضطراب من الأمور العادية التي تحدث للأشخاص العاديّين؛ وأمّا النبيّ الذي يُبعث لمقام الرسالة ولمقام البعثة، فهو مبرأ من هذا الكلام ومن هذه المسائل.[1]

وقد أُصيب البعض بتعثّر له بالشكّ والتردد بخصوص هذه الرواية، وبخصوص حالة النبيّ، فقالوا: ليس من المناسب لمقام الرسالة أن تنتاب النبيّ حالة كهذه. فالوحشة والاضطراب والشكّ وأمثالها هي من الأمور العادية التي تحدث للأشخاص العاديّين؛ وإذا كان مقدّرًا لنبيٍّ أن يُصاب بالخوف والاضطراب، فإنّ النبيّ موسى سيكون ألْيَق بهذه المسألة؛ إذ في الوقت الذي كان فيه الليل مُخيّمًا، ورأى نارًا، نجد آية قرآنيّة تقول: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ... ﴾؛ أتى النبيّ موسى إلى هناك، فجاءه الخطاب: ﴿إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى * وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.[2]

عندما يأتي النبيّ موسى في تلك الليلة، ويرى تلك النار، فهناك يتوجّه إليه خطاب ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: «أنا اخترتك! فمنذ الآن، فصاعدًا؛ الرسالة والبعثة، حيث يقول الله تعالى: «سينزل عليك الوحي».

ولو كان مقدّرًا أن تنتاب هذه الحالات شخصًا ما عند الوحي، لكان النبيّ موسى أجدر بهذا الوحي؛ لأنّ الوقت كان ليلًا، وكان عليه السلام وحيدًا؛ فكانت حالة الوحي تلك في موقع كهذا تستثير فيه الهواجس والأفكار المشوّشة جدًّا.[3]

وهنا، يجب الالتفات إلى هذه المسألة، وهي أنّ الروايات الواردة عن الأئمّة عليهم السلام عن النبيّ الأكرم تتضمّن عناوين متفاوتة تختلف بحسب المقامات والدرجات.

---

[1] بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٦٦ و ١٦٧، مع اختلاف يسير.

[2] سورة طه، الآيات ١١ ـ ١٣.

[3] للمزيد من الاطّلاع على كيفية نزول الوحي، وأوّل ما نزل من القرآن، وأوّل ما خوطب به النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٦٣؛ الروح المجرّد، ص ٦٥٤؛ مفاهيم القرآن، ج ٣، ص ٣٣٠.

إنّ الحالات التي تنتاب الإنسان بواسطة القُرب من الخالق وبواسطة تجلّيات الله تعالى، وتأثير هذه الحالات على بدن الإنسان، ليست مسألة خفيّة وسرّية عن أهل العرفان والسير.

نحن نجد في حالات العظماء والأولياء أنّهم كانت تتولّد لديهم حالة يسقطون إثرها على الأرض بواسطة قوة جاذبيّة ذلك النور والتجلّي الإلهيّ وتأثيرهما على البدن، بحيث قد يظلّون مغمًى عليهم لمدد طويلة؛ بل ومن الممكن أن يُصابوا بالحمّى، ومن الممكن أن تتعرّض الوعكات جسديّة،[1] حيث لديّنا في حالات أمير المؤمنين عليه السلام حالات كهذه،[2] ونراها في حالات الإمام السجّاد أيضاً،[3] ولديّنا روايات تحولها في حالات الإمام الصادق عليه السلام أيضاً.[4] كما أنّه جاء في شأن العظماء والأولياء أنّه عندما تقوى تجلّيات الله تعالى، لا يعود البدن يمتلك القدرة على تحمّل تجلٍّ كهذا؛ فتلك الحالة تؤثّر في البدن، فيُصابون بالحمّى، ويسقطون، ويفقدون الوعي، ومن الممكن أن تحدث لهم وعكات.

كذلك النبيّ الأكرم نفسه عندما كان ينزل عليه الوحي، كان يُصاب بثقل شديد لدرجة أنّ ناقته لا تستطيع تحمّل ثقل كهذا أيضاً![5] هذا الثقل كان يؤثّر على ناقته ومركبه، بحيث لم يكن مركبه يستطيع تحمّل ثقل كهذا أيضاً! هذا الثقل ليس ثقلاً ظاهريًّا، بل هو بسبب ازدياد التجلّيات الإلهيّة وشدّتها وتأثيرها على البدن؛ مما يوجب إصابة هذا البدن بالثقل.

كما أنّ عكس هذه الحالة صادق أيضاً؛ أي: من الممكن في بعض الأوقات بواسطة الخفّة والبساطة والانشراح، أن يضع الإنسان في موقع، ويقع في موقف يوجب فيه تأثير تلك الحالة الروحانيّة في البدن خفّة هذا البدن وزوال الثقل، بحيث لا يكون له أيّ وزن أو ثقل؛ وكأنّه قشّة طائرة!

---

1. **الوحي**، الشيخ الصدوق، ص ١١٥.

عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنّك تصيب عليك الثوب عند الوحي، فنجد له ثقلاً، فقال: «إنّه يأتيني في صورة ملك، فيكلّمني بمثل قوّة كلامك، فربّما أتاني في الساعة الباردة، فيفيض عليّ منه العرق مثل الجمان، وربّما أتاني في الساعة الحارّة، فيفيض عليّ منه العرق مثل الجمان، فأقول: إذا كان الله يعلم أنّي أتاني في الساعة الباردة، فيفيض عليّ منه العرق مثل الجمان، وأتاني في الساعة الحارّة، فيفيض عليّ منه العرق مثل الجمان، فأقول: إذا كان الله يعلم أنّي أجد ذلك، فيأمره فيضع جبهته على جبهتي، فلا أرفع رأسي حتّى يسرّي عنّي، فما كان من عرق في الساعة الباردة فذاك، وما كان في الساعة الحارّة فذاك».

2. **الأمالي**، الشيخ الصدوق، ص ٧٩؛ **الخرائج والجرائح**، الراوندي، ص ٦٥.

3. **الكافي**، ج ٢، ص ٦٠٢؛ **بصائر الدرجات**، الصفّار، ص ٣٠٠؛ **مدينة المعاجز**، ج ٣، ص ٢١٤ و٢١٥؛ **الخرائج والجرائح**، ج ١، ص ١٠١ و١٠٤؛ **مسائل عليّ بن جعفر**، ص ١٠٧.

4. **دعائم الإسلام**، ج ١، ص ١٥٩؛ **مسائل عليّ بن جعفر**، ص ١٠٧.

5. **تفسير العيّاشي**، ج ١، ص ٢٨٨.

لسعدي هذا شعر لطيف، حيث يقول في "الجلستان" حكاية مفادها: «سمعت أنّ الشيخ الفلانيّ كان يذهب إلى بحر الغرب، ويعبر من فوق الماء؛ ولكنّه، عندما وصل إلى مكان ما، لم يبصر، وسط هذا، وكأنّ أين غرق!» ثمّ يقول هذا كلامًا على لسان العظماء وحكايةً حالهم، ويقول:

یکی پرسید از آن گم کرده فرزند ** ای روشن روان پیر خردمند

ز مصرش بوی پیراهن شنیدی ** چرا در چاه کنعانش ندیدی؟

بگفت: احوال ما برق جهان است ** دمی پیدا و دیگر دم نهان است

گهی بر طارم اعلا نشینیم ** گهی بر پشت پای خود نبینیم

اگر در ویش در حالی بماند ** سر دست از دو عالم برفشاند[1]

يقول:

سأل أحدُهم الذي فقد ولده: يا أيّها الشيخ الحكيم ذو الروح المضيئة،
شممتَ ريح قميصه من مصر، فلماذا لم ترَه في بئر كنعان؟
قال: أحوالُنا كالبرق الخاطف، تظهر حينًا وتختفي حينًا آخر
تارةً نجلس في أعلى عليّين، وتارةً لا نرى ظهر أقدامنا
ولو قبي الدرويش على حال واحدة، لنفض يديه من كلا العالمين

إنّ حالات أولياء الله متفاوتة. فالحالة التي انتابت النبيّ الأكرم عند نزول الوحي كانت حالة كهذه، وكانت حالة لم يسبق لها مثيل حتّى ذلك الوقت، وذلك بواسطة ازدياد تجلّيات الخالق وقدرتها وقوّتها على نفسه؛ ولهذا، لم يستطع جسده أن يتحمّل، وسقط على الأرض.

إنّ تعييرهم ونقدهم هذا وشكّهم وشبهتهم هو بسبب هذا الأمر؛ وهو أنّهم لم يصلوا إلى هذه المسألة وأبعادها خالية من هذه المعاني، وهم يظنّون أنّ الوحي كالأمور العادية؛ في حين أنّ هناك معان وعوالم وأسرارًا لا تُحصى، وهي فوق ما يُعدّ ويُحصى.

بدء الدعوة السرّية للإسلام بنزول آية ﴿يا أيّها المدّثر﴾

على أيّ حال، جاء خطاب ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وبُعث النبيّ الأكرم بالرسالة. ووفقًا لبعض الروايات، فإنّ النبيّ الأكرم أخفى دعوته لمدّة خمس سنوات، وبناء على الأشهر والأقوى لمدّة ثلاث سنوات؛ وباستثناء أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة خديجة وزيد بن حارثة

[1] ١٠. الجلستان السعدي (روضة الورد) الباب الثاني، الحكاية

هذه أحد في يهم بأن يطالب أو يصرخ أشخاص آخرين، لم يؤمنوا به ظاهرًا، بل يحتقرون الطبّار وفعله. وكان يحدث كثيرًا أن يقيم النبيّ الأكرم الصلاة في منزله بحضور هؤلاء الأفراد، ولم الله، ذلك هو: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ آية؛ حتّى نزلت تهتمّ أحد منهم على الإطلاق؛ لعلّه يكون من بين قبيلته ومن بين مجموعة من الأقرباء، حيث جاء في الرواية:

دعوة النبيّ الأكرم الأقربين إلى الإسلام في بداية الدعوة

قال النبيّ لأمير المؤمنين عليه السلام [ما معناه]: «جهّز مقدارًا من الخبز، وقدحًا من اللبن، وفخذ شاة، واجمع أربعين شخصًا من كبار القوم!».

ذلك إلى النبيّ الأكرم، وأبو طالب، والعبّاس بن عبد المطّلب، وأبو لهب وأبناء عمومته، فلمّا اجتمعوا في المجلس، قدّم النبيّ الأكرم الطعام إليهم، وبعد أن أكلوا [على حدّ] الطعام القليل بين أيديهم، قال: «أطعموا هذا الطعام القليل لهؤلاء الأشخاص!».

يلتفت النبيّ الأكرم إليهم، ويخاطبهم [بما مضمونه]: «لقد بُعثت بالرسالة من طرف الله تعالى؛ فيجب أن تنطقوا بالشهادتين: الشهادة لله والشهادة برسالتي! فمن منكم يكون وصيّي ووزيري ومُعيني وخليفتي من بعدي؟!».

فيضحك الجميع من النبيّ الأكرم، ويخرجون من المجلس، وهم يستهزئون به، ويقولون: «لقد سحر محمّد أصحابه!».

يدعوهم مرّة أخرى بنفس الطريقة؛ وفي المرة الثالثة التي يُدعون فيها، يقول النبيّ الأكرم [ما معناه]: «من يكون في هذا الأمر وصيّي ووزيري وخليفتي من بعدي، ويستطيع أن يُؤدّي ديني من بعدي؟».

كان أمير المؤمنين عليه السلام يبلغ في ذلك الوقت الثالثة عشرة من العمر، فيقوم، ويقول: «أنا يا رسول الله!».

فأخذ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله برقبته، وقال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم من بعدي[1]»

[1] الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٠٦؛ بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٤٧؛ مدينة المعاجز، ج ١، ص ٣٠١.

مشولية الدعوة النبوية العامة وتبليغ الإسلام

كانت دعوة النبيّ صلّى الله عليه وآله هذه دعوة الأقربين. وأما دعوته العامّة، فقد حدثت بعد فاصل زمني يُقدّر بستين أو ثلاث سنوات من دعوة الأقربين هذه، حيث نزلت آية قرآنية شريفة، خاطب الله تعالى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله بقوله:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ... * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1] أي: أعلن للناس عامّة ما أمرناك به![2]

وكما تعلمون، جاء النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، ووقف على صخرة في جبل أبي قبيس، وأعلن دعوته العامّة قائلاً [ما مفاده]:

أيّها الناس! هل سمع أحدكم منّي كذبةً حتّى الآن؟! هل رأى أحدكم منّي خيانةً لأمانة؟!

فقالوا: لا، بل نعتبرك شخصاً أميناً!

فقال صلّى الله عليه وآله [ما معناه]: فاعلموا إذن أنّي مبعوثٌ من قِبل الله تعالى لكي أدعوكم إلى عبادة الله وحده! ولكي تشهدوا بوحدانيّته وبرسالتي! وتتركوا الأصنام وتعبدوه وحده!

فقالوا: أتعني أنّك تطلب منّا أن نترك ثلاثمائة وستّين صنماً؟! أن نترك ثلاثمائة وستين إلهاً ونعبد إلهك وحدك؟!

معارضة قريش لرسالة النبيّ الأكرم

وبعد ذلك توجّهوا إلى أبي طالب، وقالوا: إنّ ابن أخيك هذا قد جُنّ وأصابه مَسّ! فإن كان يريد مالاً، جمعنا له من أموالنا ما نجعله أغنانا! وإن كان يريد نساءً، زوّجناه!

فجاء أبو طالب عليه السلام إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، وقال له [ما مضمونه]:

يقول هؤلاء القوم: «ما هذه الحادثة التي ألمّت بك؟! إنّ محمّداً يصرف الشباب عن دينهم، ويدعو الناس إلى نفسه!» فإن كنت تبغي مالاً أو تبغي نساءً، فإنّهم يضعون ذلك تحت تصرّفك.

---

[1] سورة الحجر، الآيتان ٩٤ و٩٥.

[2] **تفسير القمّي**، ج ١، ص ٣٧٨.

فهنا، يقول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله [ما معناه]: لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما حِدتُ عن مهمتي، وما خالفتُ أمر ربّي![1]

واشتدّ الأمر على النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقالوا (أي قريش) لأبي طالب: سلِّمنا ابن أخيك لنقتله، وسنُسلّمك في المقابل أحد فتيان قريش لتتّخذه ولدًا!

الدعم اللامحدود من أبي طالب للنبيّ الأكرم

وهنا، يُنشد أبو طالب عليه السلام أشعارًا مفصّلة يقول في مضمونها: أأُعطيكم ولدي لتقتلوه، وتعطونني في المقابل ولدكم لأُربّيه؟!

ويقول في أشعاره تلك مخاطبًا النبيّ: حتّى لو سقطنا جميعًا صرعى بين يديك وهلكنا، فلن نتخلّى عن نصرتك ودعمك![2]

ومن أجل حماية النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، أسكنه أبو طالب عليه السلام معه في «شعب أبي طالب» ووكّل به حُرّاسًا من عشيرته كان معه من المؤمنين مدّةً من الزمن في حمايته. وقد مكث النبيّ صلّى الله عليه وآله في الشعب قرابة أربع سنوات، وما إن انقضت مدّة إقامته فيها، حتّى انتقل أبو طالب عليه السلام إلى جوار ربّه.

وتفصيل ذلك: ثلاث سنوات كانت فترة الدعوة السرّيّة، وثلاث سنوات تلتها بدأت فيها مرحلة الدعوة العلنيّة، وأربع سنوات قضاها في شعب أبي طالب، ليكون إجماليّ المدّة هو عشر سنوات؛ وبعد انقضاء هذه السنوات العَشر، توفّي أبو طالب عليه السلام والسيّدة خديجة عليها السلام.

استهزاء المشركين والمعاندين بالرسالة ووصفها بالملك والسلطنة

لقد كان هؤلاء القوم هم الذين ناصبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم العداء، واستهزؤوا به؛ وكان من بينهم الوليد، وهو أحد الخمسة الذين عُرفوا بشدّة أذاهم للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، والآخر هو أبو لهب.[3] كما كان أبو سفيان مشهورًا بينهم في هذا

---

[1] **الخصال**، ج ١، ص ٢٧٩.

[2] لمزيد من الاطّلاع على أشعار حضرة أبي طالب عليه السلام التي أنشدها في الدفاع عن الرسول الأكرم، والتي تحكي عن إيمانه عليه السلام، راجع: **الغدير**، ج ٧، ص ٣٣١ ـ ٣٤٥.

[3] **تفسير القمّيّ**، ج ١، ص ٣٧٨.

الملامضر، حيث لم يؤمن هؤلاء برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبداً؛[1] بل إنّ الوليد أبو ديان قد حكم بقتلهم جميعاً،[2] وبقي أبو سفيان على قيد الحياة.

إنّ هؤلاء الذين صُوّروا على أنّهم قدّموا للإسلام برسالة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، كانوا يحتقرون الرسالة ومن يحملها، ويعتبرونها مجرّد "سلطنة" أو "ملك"، وعندما أكمل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، كانوا يتحدّثون مع أبي طالب عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام بقولهم: «انظروا إلى ابن أخيك [الرجل] قد جاء بملك السماء!»؛ إذ هو الطريق الوحيد الذي يفهمونه.

وقد ورد في كتاب الإمام الحسين عليه السلام [ما معناه]:

كان بنو أميّة حزبًا يسعى لهدم الإسلام والارتداد عنه؛ حزبًا جاء ليُحرّف الإسلام عن مساره الصحيح ويقلبه! وحينما آلت الخلافة إلى عثمان، قال أبو سفيان كلمته الشهيرة: «تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زالت أرجو لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة... ما من جنّة ولا نار». فاعتبر أنّ الرسالة لم تكن إلا ملكًا حازه النبيّ؛ والآن، وقعت السلطنة بأيديكم، فلا رسالة كانت ولا خبر جاء![3]

هو الذي مدّد له يزيد في مجلسه حينما قال:

لَعِبَت هاشمُ بالملكِ فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[4]

الهاشميون في الصفوف الأولى للمعارضين

لقد تأسّست هذه الفئة منذ زمن الرسالة، حتّى إذا استقرّت السلطنة في هذه الشاكلة نمت على هذه الفئة وأشرأبّت! فإلى أين وصل الإسلام وأين أصبح!

---

[1] الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ١، ص ٧٣ و ٧٤.

[2] الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ١، ص ٧٤؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٩٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١١٠؛ الإمام الحسين عليه السلام في الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٣٠.

[3] الإمام الحسين عليه السلام (مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم)، ص ١٩١.

[4] الأغاني، ج ١، ص ٩١.

عوندما سُئل الإمام السجّاد عليه السلام: «أيّ المواقف كانت أشدّ وأقسى عليكم في مسيركم من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام والمدينة؟» أجاب عليه السلام: «الشام»، أي أنّ الشام كانت أشدّ علينا! لأنّ الطريق من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام والمدينة، كان مليئاً بالمصائب والآلام، وأصوات العويل والبكاء من مئات النساء والأطفال الذين كانوا في قافلة السبي، فقد كانت حرارة الشمس في الهجير تفتح الجراح، وكانت البرودة في الليل تقسو عليهم، فلا يستطيعون النوم أبداً! لأنّ كلّ من كان يريد النوم كان يُقرَع بالسياط، حتى الأطفال الرضّع لا يهدأون[1]!

رؤيا السيّدة سكينة عليها السلام

رأت السيّدة سكينة عليها السلام في منامها ذات ليلة خمسة من النوق قد هبطت من السماء وهي تتّجه نحو مكان ما. فتقدّمت، وسألت رجلاً يتبع هذه المراكب: «مَن هؤلاء؟»، فأجابها: «الأوّل آدم صفيّ الله، والثاني نوح، والثالث إبراهيم، والرابع موسى». ثمّ سألت: «ومَن هذا الذي بدت عليه آثار التعب والإنهاك، ويسقط على وجهه من شدّة الإعياء؟»، قال: «هذا جدُّكِ، نبيّ آخر الزمان صلّى الله عليه وآله وسلّم!». فسألت: «إلى أين يذهبون؟»، قال: «يذهبون إلى كربلاء لزيارة قبر أبيكِ الحسين».

فتقدّمت لتُمسك بطرف رداء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وفي تلك الأثناء، رأت خمسة هوادج قد نزلت من السماء، وفي أحدها حوّاء، وفي الثاني آسية، وفي الثالث مريم، وفي الرابع خديجة. ثمّ نظرت فرأت جدّتها فاطمة الزهراء عليها السلام جالسة في هودج، وآثار الحزن بادية على وجهها. فذهبت إليها وقالت: «يا أُمّاه! أما تدرين ما فعلت بنا هذه الأمّة؟! لقد قتلوا آباءنا! وسبونا بهذه الحالة!». فقالت عليها السلام [ما معناه]: كُفّي يا سكينة! فقد قطعتِ قلبي، وبترتِ شريان حياتي! أما ترينّ قميص أبيكِ الحسين في يدي؟! سأحتفظ بهذا القميص حتى ألقى الله تعالى به[2].

تزيين رصافة الإمام السجّاد عليه السلام بالمصائب

[مضمون ما] قاله الإمام السجّاد عليه السلام لأحد أصدقائه: «أنا أيضاً أُطرِبُ في مجلسي، وأُبكي الناس، ولكنّي أُبكيهم بمصائب أهل البيت عليهم السلام، وقلبي يتمزّق حزناً وكمداً، وعيناي تذرفان الدموع كالغيث المنهمر»[3].

(صلّى الله عليه وآله وسلّم على النبيّ المصطفى، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين!)

---

1. عجار: **عادهشلا ةركذت**، بيبح الله باكاشانيّ، ص ٢١٢.
2. **نازحلأا ريثم**، ص ١٠٤.
3. **بختنملا**، عجار: طاحيريّ، ص ٤٧٣؛ **ةينامعنلا راونلأا**، ج ٣، ص ١٧٦.

في ذلك الحين، خاطبت السيّدة زينب عليها السلام يزيد قائلة: **أَمِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ، تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ، وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ سَبَايَا؟!**[1]

وتروي السير أنّه بسبب كلمات زينب الكبرى وأمّ كلثوم عليهما السلام، ارتفع ضجيج الناس بالبكاء؛ حتى ناءت النساء من وراء ستور يزيد بالعويل! ويُروى أنّ امرأة خرجت من وراء الستر، وقالت ليزيد: أما تستحي؟! تُبرز ذراري رسول الله وأهل بيته بهذه الطريقة أمام أنظار الناس؟![2]

فأراد يزيد أن يغيّر جوّ المجلس ويصرف الأنظار، فطلب إحضار الرأس الشريف ووضعه أمامه إمعاناً في إيلام أهل البيت عليهم السلام. وحينما وقعت أبصارهم على الرأس، ارتفعت صرخة ذريّة النبيّ: «وا حسيناه! يا حبيب محمّداه! يا ابن بنت المصطفى!» وضجّ المجلس بالعويل. وتذكر الروايات أنّ يزيد طلب مخصرة (عوداً) وجعل ينكت بها ثنايا ورأس الحسين عليه السلام![3]

أبيات في رثاء الإمام أبي عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام

يا حسين اى كه شهيد ازمتقوم غائى ** وى كه هم خون خدا هم پسر خون خدايى

هم تو پرورده دوش على و دامن زهرا ** هم تو زينتده آغوش رسول دو سرايى

سجده برخاك سر كوى تو آرند خلايق ** جان فداى تو كه هم قبله و هم قبله نمايى

به خدا هم تو خليلى به خدا هم تو ذبيحى ** به خدا هم تو حرم هم تو صفا هم تو منايى

چه عجب ديده گر از اكبر و عباس بپوشى ** كه به قربان شدن كودكشش ماهه رضايى

با لب تشنه بريدند سر از جسم شريفت ** با وجودى كه تو هم خضرى و هم آب بقائى

---

[1] مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي، ج ٢، ص ٧٢، مع اختلاف يسير.

[2] معالي السبطين، ج ٢، ص ٥٨٨.

[3] مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٧١، مع اختلاف يسير؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٠٧.

سوخت داغت جگر آدمی و جنّ و ملک را ** مایهٔ درد غم خلق زمین، اهل سمائی[1]

يقول:

يا حسينُ، يا مَن قُتِلَت بظلمٍ قومٍ طغاةٍ، ويا مَن أنتَ ثارُ اللهِ وابنُ ثارِهِ
يا مَن نشأتَ في حِجرِ عليٍّ وفاطمةَ، ويا زينةً في حضنِ رسولِ العالمين
يا مَن شأنُكَ في تُرابِ أعتابِكَ، فداكَ روحي يا قتيلةَ الهدى ودليلَهُ
يسجدُ الخلقُ على تُرابِ أعتابِكَ، فداكَ روحي يا قتيلةَ الهدى ودليلَهُ
واللهِ إنّكَ الخليلُ وأنتَ الذبيحُ، وأنتَ الحرمُ والصفا ومنى
لا عجبَ إنْ أغمضتَ العينَ عن الأكبرِ والعباسِ، ودونَ رضى اللهِ قَدَّمتَ الرضيعَ بنحرِهِ

عطشانًا قَدَّوا رأسَكَ الشريفَ من الجسدِ، مع أنّكَ الخضرُ وماءُ الحياة
أحرقَ مصابُكَ كبدَ الإنسِ والجنِّ والملائكةِ، يا مبعثَ شجنِ أهلِ الأرضِ والسماءِ]

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، بحقّ محمّد وأهل بيته الأطهار، يا الله يا الله يا الله...

والحمد لله ربّ العالمين

[1] "صغير الأصفهاني" أبيات من ديوان